تدريس التاريخ و بناء الفكر النقدي

أبجي محمد*1*

عادة ما يتم ربط تعلم الفكر النقدي في مجالات العلوم الإنسانية بالفلسفة أو التخصصات التي تدور في فلكها مثل علم المنطق، لكنه لا ينبغي الاستهانة بأهمية التاريخ المدرسي في إكساب المتعلمين هذا النمط من التفكير. و نجد أن التوجيهات الخاصة بتدريس التاريخ تنص صراحة على أهمية التاريخ في بناء الفكر النقدي لدى المتعلمين.

فماذا نقصد بالفكر النقدي، فما هي مكانته في التوجيهات التربوية لتدريس التاريخ في المغرب، و ما هي الدعامات و الطرق الديداكتيكية الناجعة لتمكين المتعلمين من تملك هذا النمط من التفكير أثناء درس التاريخ.

مفهوم الفكر النقدي و أهميته.

يعد التفكير النقدي نمطا من أنماط التفكير الهامة التي يلجأ إليها الفرد في تعامله مع الكثير من المواقف و المثيرات المعقدة ، ونجد تعريفات عديدة للتفكير النقدي تقدمه بوصفه الوسيلة التي تقرر بشكل معقول ما نقوم به أو ما نفعله، لذلك ارتبط مفهوم التفكير الناقد بالإحكام التي نصدرها أو الحلول التي نقترحها للمشكلات، فهو الذي يعين بتأن و حذر الأحكام المقبولة أو المرفوضة أو المعلقة، وهو بذلك يعد وسيلة لاختيار الحلول المقترحة لمعرفة ما إذا كانت صحيحة أم غير صحيحة.

و الغرض من التفكير النقدي هو تحقيق فهم و تقييم وجهات النظر و حل المشكلات، وتتمثل مزياه في كونه يجعل المتعلم واثقا من نفسه و قادر على اتخاذ القرارات الصائبة، وقادرا على انتقاء المصادر المعرفية و تمحيصها و نقد أفكارها،كما يمكنه من عدم التأثر بالأوهام والخرفات، و يسلحه بالوعي و القدرة على اكتشاف الأفكار الخاطئة و الآراء الزائفة و يحميه من سيطرة الفكر المتخلف، و يحرره من التعصب و الأهواء2.

1- باحث في ديداكتيك التاريخ.

وحتى يكون التلميذ متملكا للفكر النقدي لابد أن يكون متملكا لمجموعة من المهارات/ القدرات التي يمكن إجمالها في؛ التفسير، التحليل، التقييم، الاستدلال، التوضيح، التنظيم الذاتي3.

و تتجلى مظاهر امتلاك المتعلم للفكر النقدي من خلال مجموعة من السلوكات و المواقف المتمثلة في حب الاستطلاع و المرونة، و التساؤل عن الأشياء غير المقبولة، و يبحث في الأسباب و الأدلة و البدائل،و يسعى إلى الموضوعية و الابتعاد عن الذاتية،و يفرق بين الرأي و الحقيقة، و يتأنى في إصدار الأحكام،و ينفتح عن الأفكار الجديدة، يغير موقفه لتتوافق مع الأدلة.و يحاول فصل التفكير العاطفي عن التفكير المنطقي4.

ويعتبر الوضوح والصحة والدقة والربط والعمق والاتساع و المنطق أهم المعايير المعتمدة للحكم على نمط ما من التفكير على أنه تفكير 5.

مكانة الفكر النقدي في التوجيهات التربوية لتدريس التاريخ في المغرب.

تنص التوجيهات التربوية الخاصة بتدريس التاريخ في المغرب على أهمية تدريس التاريخ في بناء الفكر النقدي لدى المتعلمين و تأثير ذلك على مختلف جونب شخصيته؛ فالتاريخ حسب هذه التوجيهات :» مادة أساسية في التكوين الفكري والمعرفي للمتعلم وذلك بتنمية ذكائه الاجتماعي و حسه النقدي، وتزويده بالأدوات المعرفية والمنهجية لإدراك أهمية الماضي في فهم الحاضر والتطلع للمستقبل وتأهيله لحل المشاكل التي تواجهه6.»

كما تبرز أهمية تدريس التاريخ في سياقات مختلفة و أهمية الفكر النقدي في تلك السياقات؛فعلى مستوى السياق الاجتماعي التاريخ يساهم في التكوين الشخصي للإنسان بمده بالمعالم الأساسية لفهم العالم, والتنظيم المعقلن للماضي والحاضر.و يساهم في التكوين الفكري للإنسان بتنمية الحس النقدي بالنسبة للأحداث الاجتماعية, وتكوين العقل لتحليل الوضعيات, وتكوين الرأي.

أما في السياق التربوي فتنص على مجموعة من القيم و الكفايات المرتبطة بالفكر النقدي التي يمكن تحقيقها من خلال تدريس التاريخ و المتمثلة في إعمال العقل واعتماد الفكر النقدي والتفاعل الإيجابي مع المحيط الاجتماعي على اختلاف مستوياته،و الوعي بالزمن والوقت كقيمة في المدرسة والحياة7.

و في ما يخص المرجعية الديداكتيكية فقد أكدت التوجيهات التربوية أهمية الفكر النقدي بقولها:» لا بد من استحضار ديداكتيك المادة الذي يبلور التجديد الابستمولوجي الذي يعرفه التاريخ كمادة عالمة في موضوعه وأدواته ومفاهيمه المهيكلة، مما يستدعي التعامل مع معرفة

منظمة يستطيع المتعلم فهمها وامتلاكها وتوظيفها في وضعيات جديدة، تتطلب هذه المعرفة إعمال العقل وشحذ القدرة على التحكم في آليات التفكير التاريخي وذلك بالتأكيد على مسار إنتاج المعرفة التاريخية أكثر من التركيز على منتوجها، توخيا لاستقلالية المتعلم بجعله يكتسب الأدوات المنهجية لمساءلة التاريخ بفكر نقدي يستدمج نسبيته ويعرف معناه و يثمن الثقل التاريخي لجملة مفرداته، فيصبح مؤهلا للتموضع في الماضي الذي ما زال حاضرا حولنا وفي المجال الذي نعيش فيه8».

و الملاحظ أنه على المستوى المرجعية الديداكتيكية أن التوجيهات التربوية قد أعطت مكانة متميزة للفكر النقدي، يسعى تدريس التاريخ بلوغها.

الدعامات الديداكتيكية في مادة التاريخ و بناء الفكر النقدي.

تتعدد الدعامات الديداكتيكية التي يمكن أن يرتكز عليها المدرس لبناء الفكر النقدي في درس التاريخ لدى تلاميذته ،ذلك أن هذه الدعامات تتيح للمدرس إمكانيات وضع تلاميذته أمام قضايا تاريخية تستدعي إعمال الفكر النقدي، و نكتفي هنا بدعامتين ديداكتيكيتين لنبرز كيف يمكن من خلالها بناء الفكر النقدي؛هما النصوص التاريخية و الخرائط.

النصوص التاريخية الأصيلة: تقدم النصوص التاريخية للتلميذ صورا ملموسة عن المرحلة التاريخية المدروسة ،و بالتالي تضعه أمام شهادة تمكنه من تحليل الأحداث و التعرف على الأسباب و الوصول إلى النتائج ، و إقامة المقارنات ،كما تتيح لمدرس التاريخ إمكانية الاشتغال مع تلاميذه وفق منهج المؤرخ الذي لا يقف عند مجرد الكشف عن الأحداث و إنما يتعدى ذلك بالبحث عن الفكرة و فهمها و إدراك الدوافع الكامنة خلفها.

إن توجيه الطلاب إلى إتباع خطوات التفكير العلمي التي يتبعها المؤرخ من استنباط الحقائق التاريخية من مصادرها الأصلية و المرور من المراحل التي يمر منها المؤرخ بجمع الحقائق والبيانات و التعليل و الاستنباط للوصول الى النتائج العام9.

كما تمكن النصوص التاريخية المدرس و المتعلم من القيام بعمليات نقدية من خلال المقارنة بين عدة نصوص تاريخية مرتبطة بنفس الوقائع التاريخية و إصدار أحكام تستند على حجج و براهين حول مصداقية كل منها، و استخراج ما تنطوي عليها من خلفيات اديولوجية... و بالتالي العمل على اكتشاف مدى موضوعية الكاتب/الشاهد.

خلاصة القول أن اعتماد المصادر الأصلية خاصة النصوص في تدريس التاريخ تمكن المتعلم من اكتساب مهارات التفكير الناقد من خلال تنمية التفكير القائم على البراهين و تأهيلهم على ممارسة التعلم الذاتي المؤدي إلى الاستقصاء و التحري وراء الحقائق10. و اكتشاف الحقيقة

النسبية و تنويع الشهادات التاريخية و التحفظ في إصدار الأحكام حولها ، و توخي الدقة في إصدارها ، و تكوين مواقف موضوعية من القضايا الوطنية و الدولية11.

الخرائط: تفيد التلاميذ في اكتساب الحاسة المكانية و فهم البيئات التي يعيشون فيها،و تمكن من تحديد أماكن وقوع الأحداث12. كما أن الخريطة التاريخية وسيلة للتفسير و البحث عن العلاقات و الكشف عن الظواهر التاريخية، و أداة لفهم بعض المعطيات الأولية13.

الطرق الديداكتيكية في مادة التاريخ و بناء الفكر النقدي.

إن بناء الفكر النقدي في درس التاريخ يستدعي تبني طرق ديداكتيكية ناجعة و ملائمة لبناء هذا النمط من التفكير، و نعتقد ها هنا أن هناك ثلاث طرق ناجعة أكثر من غيرها في بناء الفكر النقدي في درس التاريخ.

طريقة حل المشكلات:

و هي عملية يتم فيها التعليم عن طريق إثارة مشكلة في أذهان المتعلمين بصورة تدفعهم إلى التفكير العلمي الهادف للوصول إلى حلول مدروسة لهذه المشكلة.و تعتمد على الملاحظة الواعية و التجريب و جمع المعلومات و تقييمها من أجل حل معقول، وهذه الطريقة تضع المتعلمين في مواقف تثير تفكيرهم و تدفعهم إلى جمع المعلومات اللازمة لمواجهة هذه المواقف، وتنظيمها و اكتشاف العلاقات بين هذه المعلومات.و تنمي لديهم مهارات التفكير العليا كالتحليل و الاستنتاج و النقد و إصدار الأحكام و التنبؤ و اقتراح الحلول و اختيار الحلول بطريقة علمية و تطبيقها في مواقف جديدة.فحين يمارس التلميذ مهارات البحث التاريخي وفق هذه الطريقة يكتسب مهارات التفكير الناقد من حلال نقد و تقييم مصادر المادة التاريخية و يميز بين المصادر الأصلية و المصادر الثانوية و يقيم العلاقة بين مختلف المصادر و يناقشها15.

العصف الذهني:

أي وضع أذهان المتعلمين في حالة من الإثارة و الجاهزية للتفكير في كل الاتجاهات، ويشجع على الانفتاح الذهني و التفكير الإبداعي و احترام وجهات نظر الآخرين و يمكن من استخدام القدرات العقلية العليا كالتحليل و التركيب و التقويم ، ويزود المتعلمين بمجموعة من القواعد لتوليد الأفكار و الإقلال من الخمول الفكري16 .

المناقشة و الحوار:

طريق تعتمد على قيام المدرس بإدارة حوار شفوي خلال موقف تعليمي،و تتطلب من المتعلمين المقارنة أو اتخاذ موقف مع أو ضد ، أو تطبيق قاعدة ،أو تحديد أسباب، أو نقد

موقف أو حالة ،و تنمي لديهم مهارات التحليل ،و النقد و المحادثة و احترام الرأي الأخر، وتدفع الطلاب إلى الرجوع إلى المراجع و مصادر الموثوقة ، وتكسبهم اتجاهات سليمة من الحكم على الآراء.

و هدف الحوار إثبات الحقيقة حيث هي و ليس حيث يرها المتحاورون الذين ينبغي احترام أراء بعضهم و يسلموا بحتمية الخلاف في الرأي بين البشر ، و يعتمدوا على المعلومات الموضوعية الدقيقة المدعومة بالأدلة ، و لا يلجئون إلى التجريح17.

على سبيل الختم؛ فإن تملك الفكر النقدي و تعلمه خاصة عن طريق درس التاريخ يجد تبريره لدينا في ضرورة تسليح المتعلمين بالوسائل القمينة التي تمكنه من مواجهة الكم الهائل من المعومات اليومية التي يتلقها من الإعلام بمختلف أنواعه و الذي أصبح معه من الصعوبة بما كان الحكم على مصداقيتها،و لان التاريخ يتيح وضعيات تعليمية حول الماضي من خلال قضايا تاريخية اتضحت معالمها بشكل أو بأخر فان ذلك يمكن المتعلم من إعمال الفكر النقدي حولها مما ييسر له التعامل مع قضايا الحاضر بفكر ناقد.

و حتي ينجح المدرس في تنمية الفكر النقدي لدى تلاميذته لابد من تنويع الدعامات و الطرق الديداكتيكية ، و أن يتصف بسعة الصدر مهما اختلفت آراءه مع أراء تلاميذه بحيث يكون أستاذا ديمقراطيا و ليس سلطويا ، ويضع تلاميذه أمام وضعيات متنوعة و متفاوتة الصعوبة، و الهدف النهائي لكل ذلك جعل المتعلم قادر على مواجهة قضايا العولمة و الإعلام و ما يرتبط بذلك من تسارع الأحداث بفكر نقدي.

الهوامش :

1. عصام زكريا جميل، المنطق و التفكير الناقد،دار المسيرة للنشر و التوزيع ،ط 1،2012م،عمان ،الأردن، ص 196-195.
2. نفسه، ص 215-214.
3. نفسه ص 214-213-212.
4. نفسه ص 207-206
5. نفسه ص 205-204-203.
6. التوجيهات التربوية و البرامج الخاصة بتدريس مادتي التاريخ و الجغرافيا بسلك التعليم الثانوي التأهيلي، مدرية المناهج، وزارة التربية الوطنية، المملكة المغربية ،نونبر 2007، ص 3.

7. نفسه ص 3.
8. نفسه ص 4.
9. عبد الرحيم الحسناوي،النص التاريخي؛مقاربة ابستمولوجية و ديداكتيكية،إفريقيا الشرق – المغرب،2011،ص 129-128-127.
10. فخري رشيد خضر،طرائق تدريس الدراسات الاجتماعية ،دار المسيرة للنشر و التوزيع، الطبعة الثانية ،عمان الأردن،2014،ص 211.
11. المصطفى لخصاضي ، تدريس التاريخ و الجغرافيا:حقل التاريخ،المرجعية الفكرية و الممارسة الديداكتيكية، إفريقيا الشرق – المغرب،2012، ص 90.
12. فخري رشيد خضر،طرائق نفس المرجع،ص 284.
13. المصطفى لخصاضي ، نفس المرجع،2012، ص 94.
14. فخري رشيد خضر،نفس المرجع،ص 227-226.
15. علي أحمد الجمل ،تدريس التاريخ في القرن الحادي و العشرين،عالم الكتب،الطبعة الاولى ،القاهر، مصر ،2005،ص 262-260.
16. فخري رشيد خضر،نفس المرجع،ص 218.
17. نفسه ص 182-181-179.